

الرؤية الكونية التوحيدية في فكر محمد المبارك

The Unitarian Universalist Vision in the Thought of Muhammad Al-Mubarak

خالد محجوب²

k.mahdjoub@univ-alger.dz

بن داشة عز الدين¹

a.bendacha@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2024/07/01 تاريخ القبول: 2024/11/21 تاريخ النشر: 2024/12/20

Received:01/07/2024 Accepted: 21/11/2024 published: 20/12/2024

ملخص المقال :

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن مضامين الرؤية الكونية التوحيدية، أو ما "يعرف برؤية العالم" عند محمد المبارك؛ الذي تناول في مؤلفاته ما يتعلق بقضايا الرؤية التوحيدية وهي: كل من الحقيقة الإلهية، والإنسانية والكونية والحياة، تلك الرؤية التي انحرفت عن مسارها الفطري الإيمان في الفكر الغربي، نظرا لطغيان المادية لتصور الإنسان المعاصر، مما يستدعي الحديث عن موضوع الرؤية التوحيدية بوصفها نموذجاً معرفياً إسلامياً يقوم على أساس إيماني يمكن من خلاله إعادة تشكيل وترشيد وعي الإنسان بما يتناسب مع النموذج الرباني الذي طبع في أصل خلق الإنسان، ويخدم وظيفته الوجودية والحضارية الجامعة لخيري الدنيا والآخرة.

كلمات مفتاحية: الرؤية الكونية التوحيدية، رؤية العالم، محمد المبارك، الخلافة، الحضارة.

Abstract:

This research aims to uncover the contents of the monotheistic cosmic vision, or what is known as the "worldview," according to Muhammad al-Mubarak who addressed in his works issues related to the monotheistic vision, which includes the divine, human, and cosmic truths, and life. This vision deviated from its innate faith-based path in Western thought due to the dominance of materialism in the contemporary human conception. This necessitates discussing the topic of the monotheistic vision as an Islamic epistemological model based on faith. Through this model, it is possible to reshape and rationalize human consciousness in a way that aligns with the divine model imprinted in the essence of human creation, serving its existential and civilizational function that combines the good of both the worldly life and the hereafter.

Keywords: Monotheistic cosmic vision, worldview, Muhammad al-Mubarak, caliphate, civilization.

(1) جامعة الجزائر 01 بن يوسف بن خدة (الجزائر) مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية وسبل تقويمها

(2) جامعة الجزائر 01 بن يوسف بن خدة (الجزائر) مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية وسبل تقويمها

1 . مقدمة:

سجل التاريخ المعاصر تغيرات في الفعل التاريخي لحركة الإنسان، خاصة في البيئة الغربية بعد أن كان الدين هو المؤسس القويم لجملة سلوكيات وتصورات الإنسان في رحابه الوجودي، حيث قام بإلغاء النموذج المتعالي الذي كان يربطه بالغييب في تصورات، وبالخلقانية في أفعاله، كما قام بالفصل بين عالم الشهود وعالم الغيب، وبين الأخلاق من أصلها فطرية دينية إلى أخلاق دهرية وضعائية، فكان الإنسان بذلك متقلب في معناه من تحور لآخر ناسيا إنسيته الأولى التي خلق عليها، فأضحى في آخر المطاف مبنى بلا معنى، فاقدا بوصلته الوجودية التي تربطه بالخالق من جهة الوجود، وبالخلق من جهة الوصل، وما إن أصبح الفصل والقطع هو السمة البارزة في تشكيلاته المعرفية، وهي السمة الغالبة على الحداثة في مرحلتها الأولى "خاصية القطيعة"، والثوران في زمنها الثاني التي أطلق عليها ما بعد الحداثة، وبين هذا وذلك أضحى الإنسان كومة في زحمة مادية مكدسة في جانب، وسلعة في أسواق أخرى، وكلما حاول الإنسان المفصول "المضيق تصوريا" أن يخرج من ضيق المادية الجامدة بوسائل الحداثة، إلا ودخل في خندق زاده اختناقا وغربة عن أشواقه الجوانية، وهذا هو حال الإنسان الغربي في زمن العقلانية والعلمانية الفاصلة، التي طبقت عليه كل أدوات القطع والفصل عن الحقيقة الإنسانية قبل أي حقيقة أخرى، فلم يبرح إلا أن يكون ماض في مسيرة التغيير والتحديث والترشيد الذي طبق على المضمون الإنساني، والذي جعله في آخر المقام مقولة مادية لا تغاير جملة ما يشاركه وجوديا إلى من قبيل الكم والمشاركة.

وفي ظل هذا التدافع المادي الذي أرهق النوع الإنساني والذي أنتج لنا الإنسان "الوحشاني" و"الجسماني" و"الجنساني" انطلقت أقلام تحاول بما بقي لها من رواسب الفطرة استنهاضا بعنوان الإنسان المتعالي والخصوصي في كينونته، بطرح يخالف النزعة المادية المادونية، يحاول أصحابها استرجاع صورة الإنسان في الأدبيات الفكرية المعاصرة، وهذا ما أضحى يعرف بالرؤية إلى العالم أو الرؤية الكونية كخارطة معرفية تؤسس للإنسان في جملة صلاته الوجودية، وخاصة في علاقته مع أخيه الإنسان كأصل يبغى استرجاعه، ولعل الصيحة التي أطلقها الخطاب الغربي في استنجاهه بأنموذج معرفي ينقذ الإنسانية من وحل المادية التي أغرقته، حملت جملة من المفكرين ممن يكتبون ويراقبون الظاهرة الغربية في حركتها الحضارية والاجتماعية والإنسانية وتغيراتها، متوسمين بما يحملون من منظومة قرآنية كبوصلة إنسانية يمكن من خلالها تسديد الإنسانية وتوسيع التضيق الذي يعيشه العالم الإنساني بشكل عام والعالم الغربي بصفة خاصة، ولعنا نلمس في البيئة الإسلامية مشاريع حاول أصحابها الإجابة عن سؤالات الحضارة الغربية وبالأخص مقومها الأساسي "الإنسان"، بغية ترشيده من باب الوصل الذي فقده في رحاب التدهير في زمنه الأول والثاني الذي يعرف بالحداثة وما بعد الحداثة، ولعل من جملة المفكرين الذي كان لهم القلم السيل في مقارنة تقويمية لأنموذج المادية بقرائنه النقدية التصويبية محمد المبارك (1981م)، هذا الذي يلمس القارئ جملة مؤلفاته؛ إذ يقف على تصور معرفي سطر فيه رؤية كونية توحيدية تتجاوز النظرة المادية الغربية الضيقة في تعريفها لحقيقة الإنسان، ومن هذا المنطلق نحاول الإجابة على الإشكالية الآتية:

فيما تتمثل الرؤية الكونية التوحيدية في فكر محمد المبارك؟ وماهي مضامينها المعرفية؟ وما موقع الانسان فيها؟

2. الرؤية الكونية التوحيدية بحث في المدلول:

اقتضت الضرورة المنهجية قبل الإحاطة بمحيثيات ومضامين البحث، الذي نحن بصدد أن نبين حضور المدلول المعنون في المقالة وهو "الرؤية الكونية التوحيدية" التي ذاع صيتها في أدبيات البحوث المعاصرة، ومن خلال قراءتنا لجملة ما ألف رجال الفكر الإسلامي في العالم المعاصر، ومن المنظرين للمعنى المعرفي للرؤية الكونية التوحيدية في البيئة الشيعية المفكر مرتضى مطهري في توليفته المشهورة بعنوان "الرؤية الكونية التوحيدية" والذي تعاطى في مفتتح كتابه مقارنة حدية لمعاني اللقب العام للرؤية، فجاء في ثنايا كتابه بأنها تعني: " تعني إدراك أن الكون قد أبدع بإرادة حكيمة واحدة... وأن للكون قطبا واحداً منه المبدأ وإليه يرجع، وكل الموجودات تتحرك في نظام منسجم واحد وفق السنن الإلهية، بما في ذلك الإنسان المشرف والمكرم على باقي الموجودات والحامل للأمانة، الساعي إلى تحقيقها في الحياة، التي لها معنى وهدفا لأنها تضع الإنسان في الطريق إلى الكمال و الوجود". (مطهري، مرتضى، (1989م): ص21). وبناء على ما جاء في مفاصل التعريف يمكن أن نستخرج على أربعة مقومات أساسية للرؤية الكونية التوحيدية :

المقوم الكون: والذي جاء في مفتتح التعريف أنه مخلوق أبدعه الله بإرادته وحكمته كونه المقوم الثاني في التعريف والذي يعد بمثابة الدعامية الأساسية في تصور الوجود ككل، فالله كما بين التعريف هو القوام على سيره ونظامه الذي يحكم نواميسه التي يسير بها، وبذلك فتعاطي مطهري للكون كان موصولا بالموجد الواحد وهو الله في وجوده ونظامه وغايته، أما المقوم الثالث فهو الإنسان الذي خص بكنهه عن بقية المخلوقات التي يشاركها من باب الخلقة الأنطولوجية، بيد أنه خصص كما أتى في التعريف بالكرامة والأمانة التي ارتقى بها الإنسان في السلم القيمي للموجودات، وفي سياق بيان حقيقة الإنسان كأحد المقومات التي تشكل عليها الرؤية الكونية التوحيدية في هندستها المعرفية أتى مطهري إلى ربط الوظيفة الوجودية المتمثلة في الاستئمان والاستخلاف بالمقوم الرابع في الرؤية التوحيدية وهي الحياة والتي تجمعها بالإنسان صلات كما سلف بيانه.

يتبين من حدود التعريف أن الرؤية الكونية هي التصور والصورة التي تشكل الخارطة المعرفية والنظرية التي تشكلت في ذهنية الإنسان يتقاسمها الفرد والجماعة في فهم حقيقته كذات متحققة في الوجود وفق خصوصية معينة، وفي هذا تكون الرؤية هي الجواب حول من أنا؟، كما ترسم هذه الصورة الغاية التي خلق الانسان من أجلها، وبذلك تكون جواباً للإنسان حول لماذا وجدت؟ أما محمد المبارك فلم نجد له تعريفاً للرؤية الكونية التوحيدية"، بيد أننا نلمس مفهوم الرؤية الكونية عنده في عرضه لمضمون الإسلام بكونه "نظرة إلى الكون والطبيعة والإنسان وصلة الإنسان بالكون ونظرته إلى المعرفة التي مصدرها العقل والوحي كل في مجاله (المبارك، محمد (1987م): ص 156) والملاحظ من خلال هذا التعريف، يتبين أن الرؤية الكونية التوحيدية في فكر محمد المبارك، عبارة عن صورة تعريفية للحقائق الكبرى للوجود؛ بدءاً من الحقيقة الإلهية، ووصولاً إلى الحقيقة الإنسانية، وما تربطها من صلات وجودية، وتصورية مع بقية الحقائق الأخرى.

وبناء على ما سلف يمكن القول أن الرؤية الكونية التوحيدية وفق المقاربة التي وقفنا عند حدودها لجملة من المفكرين أئمتنا: الخارطة المعرفية التي ترسم للإنسان صورة وجودية عن حقيقته كذات متحققة بخصوصية تكوينية وتكليفية، وعن حقيقة الإله الذي منَّ عليه بصفة الوجود المتعين، وصولاً إلى معرفة حقيقة الكون الذي يدب على ظهره، وجملة العلاقات التي تربطه به وجودياً

ووظيفيًا، كما تحمل الرؤية الكونية للإنسان مفهوم حقيقة الحياة، بمرحلتها وجملة الصلات التي تجمعها بالإنسان، وهذا الذي نقف عليه في فكر المبارك الذي كان المضمون المعرفي للرؤية الكونية الإسلامية حاضر في تفكيره وإن لم يخصص الرجل توليفة أو تعريفًا للمدلول العام لعنوان المقال.

03: الحقيقة الإلهية في تصور محمد المبارك

3 . 1 . الله في رؤية المبارك:

إن معرفة الحقيقة الإلهية في الرؤية الإسلامية، ليست وليدة تصور عقل بشري، فالله تعالى لا يدرك لا بالأذهان ولا بالأعيان، فالمصدر الأساسي في معرفتها هو الوحي الإلهي، الذي عرف بما أوجب الله لنفسه من ذات وصفات وأفعال، والتي في كليتها مخالفة لجميع الممكنات، في أي مستوى وجودي عيني أو ذهني مجرد، مصداقاً لقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11] والقارئ لمؤلفات الأستاذ المبارك يستشف أن الرجل كان مواكبا للنسق القرآني في تبيان الحقيقة الإلهية في التصور الإسلامي؛ إذ قرر المبارك أن الله ذاتا لا كالدوات، وصفاتاً لا تشبه صفات الممكنات، في أي وجه من الوجوه (المبارك، محمد، (1968م): ص 48)، نزولا عند قول الحق تعالى {فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 97]، يقرر المبارك تجاوز وتنزه وتفرد الله بصفاته وذاته عن الممكنات فيقول: "إن ارتفاع فكرة الله الخالق الذي لا يشابه في وجوده وصفاته الكون المخلوق قد هبط حالا بكل فكرة أخرى تقوم على تأليه الطبيعة أو جزء منها أو فرد من أفراد البشر، فتتساوى المخلوقات ويتدفع الإنسان بمقدار ما أوتي من عقل مفكر وإرادة فاعلة وروح مستمدة من الله (المبارك، محمد، (1959م): ص 12).

وفي موضع آخر يقول: "الله في العقيدة الإسلامية وجود كامل مطلق يتصف بالحياة والعلم والقدرة وذلك أن في الكون نفسه مخلوقات تتصف بهذه الصفات ضمن حدود محدودة كالحیوانات والإنسان، فلا بد أن يكون الوجود الذي أوجدها متصفا بصفات أعلى منها وأشمل وأكمل" (المبارك، محمد، (1968م): ص 53).

إن وحدانية الله تعالى هي المبدأ الأول، والأساس في الرؤية التوحيدية، وفحوى هذا المبدأ أن الإله هو الله ولا إله غيره، وأنه هو الواحد الأحد، متصف بصفات الكمال والجلال ومخالف لجميع الموجودات، ولتحقيق إطار توحيدي واقعي في الرؤية الكونية، ينبغي رفض وجود أي علاقة قرب أو تجانس وجودي بين الحقيقة الإلهية المطلقة، وبين النسبي المخلوق، إذ أي تجانس في أي وجه من الوجوه يعد مصدرا للشرك بالله وانتفاء الواحدية والأحدية للحقيقة الإيمانية (أوغلو، أحمد داود، (2019م): ص 86).

3 . 2 . صلة الله بالوجود في رؤية المبارك:

إن الله في رؤية المبارك ليس حقيقة مجردة ومتباعدة كل البعد عن الوجود كما ذهب إلى ذلك أرسطو ومن تابعه من الفلاسفة، فهي وإن كانت حقيقة متباعدة كل البعد من جانب الكنه والماهية إلا أنها تربطها صلات بالوجود وأول الصلات التي بينها المبارك في مؤلفاته ما يعرف بالصلة الوجودية بالكون فجاء في أحد المواضع: "الله خالق الكون - مادة ونظاما - أزلي الوجود. خلق الله الكون في البداية ثم جعل له طريقة أو أطوارا ذات سنة منتظمة لتكامل وجوده ... جعل الله الخالق لوجود الكون وحوادثه سننا وقوانين يسير بموجبها" (المبارك، محمد، (1968م): ص 54).

كما بين المبارك أن الحقيقة الإلهية تربطها علاقة أخرى بالإنسان، فالله هو الخالق للإنسان من المبدأ، وليس الطبيعة كما هو متصور في النظرة المادية، في تفسير بداية الإنسان بالتطور الذاتي من الطبيعة، وهذا بغية إخراج وتغيب المفهوم الإلهي من المعرفة والعقل الحديث، فذكر المبارك في توظيفه للآية القرآنية في مضامين كتاباته، أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من علق وأنه علمه البيان وأنه هو الذي نفخ فيه من روحه فكان خلقا جديدا آخر يخالف كل من سبقه في الوجود، (المبارك، محمد، (1968م): ص 62) كما بين المبارك أن الله سبحانه وظف الإنسان في أرضه وهو ما يطلق عليه "بالخلافة" في أرضه واستأنه عليها بالأمر والنهي، وهو ما يمكن أن نصلح عليه بالعلاقة الوظيفية في الرؤية الإسلامية، التي يتبناها كل من ينطلق في تصوره المعرفي من العقيدة الإسلامية القرآنية كمصدر لرؤيته الكونية، وفي تبين هذا التوظيف الإلهي للإنسان يذكر المبارك: "لقد كرم الله الإنسان أو بني آدم بأن جعلهم خلائف الأرض أي مستخلفين عليها يتصرفون وينتفعون بها ويسخرونها لصالحهم ومنافعهم فقد قال تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]"، (المبارك، محمد، (1968م): ص 63)

3. 3 . القيمة المعرفية لتصور الحقيقة الإلهية في الرؤية التوحيدية.

لا يعد الإيمان بالله تعالى في المنظومة الإيمانية، من جملة المقولات المجردة من الحركة الواقعية لسيورة الإنسان في التاريخ، بل يعد بمنزلة المحرك الأساس في جملة معارفه ومقاصده في الحياة، وأعلى هذه القيم الإيمانية قيم التوحيد السامي، وما ينطوي تحته من مضامين قيمة ومعرفية مرجوة لحياة الفرد في عالمنا المعاصر؛ الذي يعيش اليوم ما يسمى بالانحداد الحضاري، ولا ريب أنه لا سبيل إلى استئناف نهضوي وخروج من الانحداد الذي يعيشه العالم الإسلامي، إلا من خلال بناء الإنسان بقيم إيمانية تربوية عملية بالمقام الأول، لأن أزمنا ليس أزمة مضمون معرفي فالوحيين باقين بأمر الله، بقدر ما هي أزمة فاعلية إنسانية غائبة عن الحضور، وعلى هذا وجب إعادة بذل الجهد إلى تفعيل هذا الفاعل وإدماجه في وظائفه التي حملها وواثق مولاه عليها، ولعل الذكر القرآني والمعين العقدي في نسيجه الإيماني هو الكفيل في تحريك العضلة الضامة للإنسان المعاصر في الأوطان الإسلامية، ولا شك أن الإيمان بالله له مقاصد قيمة يترقى بها الإنسان المكمل في عالمنا المعاصر.

إن الإيمان بالله يحمل في طياته ثمارا تعود بالخيرية على النوع الإنساني، في أي عصر ومصر كان، ولعل هذا ما يفسر لنا توجه جملة من المفكرين الإسلاميين بالاشتغال على بيان قيمة الإيمان بالله في حياة الإنسان، وهذه المقاربات لا شك أنها تعكس موجة نفور من الاغتراب الذي يعيشه العالم الغربي بعد خروج من محورية الإله في الوجود إلى محورية الإنسان على الانتقال من اللاهوت إلى الناسوت أو ما يعرف بالأنسانية كمصدر للقيم والمعرفة، ولا شك أن هذه الرؤية المعرفية الغربية ضيقت من آفاق العقل الإنساني بعد إقصاء فكرة الإله من دائرة المعارف فأصبح حسب تعبير طه عبد الرحمان "تتوسل بالعقل المجرد وحده" (طه عبد الرحمان، (2014م): ص 14)، الرافض لأي معرفة تتجاوز حدوده، فكان بهذا الحال مضيق الآفاق فلا يتجاوز حدود المادة التي تحيط به، بخلاف المنظومة الإيمانية التوحيدية فإن من أجل ثمارها على العقل الإسلامي أنها تكسبه التسديد في آفاقه أي عقل موجه في أفقه وموسع في مداركه، فلا تنحصر وظيفته في ثنائية المادة والإنسان بل ينفتح على الملكوت ليصل إلى عالم الغيب وأعلائها الحقيقة الإلهية، وفي سياق هذا الحديث يقول المبارك: "إن المادي مضيق الأفق محدود، والمؤمن موسع الأفق لا يقف عند حدود المادة، فالأول ينظر إلى الكون نظرة جافة جامدة، والمؤمن ينظر إليه من خلال نظرتة إلى عظمة الله ورحمته وفضله، فيتصل

بالكون والطبيعية اتصالا ربانيا يشعر خلاله بنبضية الحياة وخفقة الروح واستشعر العظمة والرحمة في نظرتة. إنه أوسع عقلا وأيقظ قلبا وأرهف ضميراً أو حساً (المبارك، محمد، (1970م): ص25).

إن من جملة الثمار المعرفية والعقدية التي يكسبها الإيمان بالله تعالى في حياة الإنسان، أنه حسب تعبير المبارك، يخرج ويخرج الإنسان من الخضوع والعبودية للبشر، فلا مخلوق يسمو في حقيقته أمام الحقيقة الإلهية، فكل الخلق محتاج إليه ولا حاجة له إلى الخلق (المبارك، محمد (1970م): ص79)، ولا شك أن توفير طاقة الجوانية المتمثلة في الحاجة الروحية وتسديدها إلى الغاية الوجودية خير كبير في الأرض، فخضوع إلى الله إيمانا وعبودية هو في الآتي نفسي تحويل طاقة الإنسان من الجوانية إلى البرانية بالعمارة والإصلاح كتحقيق لشواهد الإيمان في الواقع، وقد التفت إقبال إلى هذه الإشارة العقدية حينما قال: " التوحيد قوة في الحياة على الأرض" (حنفي، حسن، (2009م). ص145)، والحقيقة هو الوقود الكفيل في عمارة الإنسان وبنائه، وبنائه يتكفل هو أخلاقيا بعمارة ما حوله، فالتوحيد كما يرى المبارك أساس الإيمان، لكونه رياضة روحية تستجمع النفوس نحو الارتقاء والارتباط بالحقيقة الإلهية في سيرورتها وعمارتها.

04. الكون في تصور المبارك.

4. 1. حقيقته :

يعد الكون في الرؤية التوحيدية من عناصر التراتبية الخلقية في ثنائية الوجود، وهذه مسلمة إيمانية يحملها كل مؤمن بالله ورسالته، ولا يخرج عنها الأستاذ المبارك عن جملة مفكري الإسلام في تقرير هذه الحقيقة المعرفية، ويقرر هذا التصور في أحد المواضيع قائلا: "ويتلخص التصور أو المفهوم الإسلامي العام في أن هذه الطبيعة التي تحيط بالإنسان والكون الذي يعيش فيه يتسع أفقه ومسافاته، لأنه مخلوق من ورائه وجود مطلق وقوة حية مدركة هي قوة الخالق" (المبارك، محمد، (دت): ص62). والكون حسب الرؤية التوحيدية للمبارك متبدل ومتحرك وجميع مكوناته في حركة وتغير (المبارك، محمد، (1968م): ص24)، وقد أشار أن هذه الرؤية ذات قيمة معرفية علمية وعقيدية؛ فهي تختزل عن الإنسان فكرة التجاوز الاستيعابي المعرفي الذي يرمي إلى التدبر في سننه، بتسليمه أنه عبثي الحركة والنظام أو أنه آلهة متسلطة مخضعة لإرادة الإنسان، وهذا الذي يأخذ من كلامه في أحد المواضيع حيث قال: "إن الطبيعة كما تبدو في هذه الآيات كل يشتمل على أجزاء، وهي بعد هذا موضوع يستحق التفكير، وأثر يستعري التأمل والنظر في اتصال أجزائه، وتتابع أقسامه واطراد حوادثه لقد أزال القرآن ما بين الإنسان والطبيعة، من عوائق كان الاعتقاد بها يحول بينه وبين صحة النظر وصدق التفكير، فبدت الطبيعة عربانة متجردة. إنها طبيعة يستطيع العقل إدراكها، فهي معقولة، لها من ذاتها عللها ومن نوعها أسبابها... إنها طبيعة مطردة الأسباب، منتظمة الحوادث، لا تتلاعب بها أهواء آلهة عديدة مزورة، بل هي منبثقة عن تصميم إله حكيم، وتنظيم خالق مدبر. إن فكرة القانون أو السنن الكونية واضحة في هذه الآيات، كما هي بادية في آيات أخرى (المبارك، محمد، (1959م). ص14).

4. 2. علاقة الكون بالله والإنسان:

إن الكون في حقيقته لا ينفصل في كنهه عن حقائق الوجود الكبرى، ومن ذلك صلته بالحقيقة الإلهية فأولها الصلات التي تأصلها الرؤية الكونية التوحيدية أن الكون مسلك من المسالك التي توصل الإنسان إلى معرفة الله تعالى، لكونه أثر يدل على مؤثره

مبدئاً وسيرورة وصيرورة، وفي تقرير هذه الخاصية العقدية يقول: "ولكن الإسلام إذ يمر بنا في آفاق الكون والطبيعة وآفاق النفس الإنسانية لا يقف بنا في المسير حيث تقف النظرة المادية، بل يستمر حتى ينتقل من الكون إلى موجدته، ومن الإنسان إلى خالقه، ومن الحياة الإنسانية إلى ما وراءها. وهو أن الكون العظيم الدقيق المنظم المطرد لم يوجد مصادفة ولا عبثاً، ولكنه منبثق عن قوة خالق حكيم عليم خبير" (المبارك، محمد، (1959م): ص14). وفي أحد المواضع يبين تجاوز الرؤية التوحيدية المادية التي تقف عند ظاهر الحياة في معرفة نواميس الكون، فالرؤية التوحيدية ترتقي من الصنعة إلى الصانع ومن النظام إلى المنظم إذ يقول: "إن هذه النظرة إلى الكون كما جاء بها القرآن الكريم تحتوي على نظرة الماديين إلى الكون، من حيث استخراج السنن والقوانين وارتباط الحوادث بعضها ببعض بروابط مطردة دائمة، ولكنها تزيد عليها، فالماديون يقفون هنا عند هذه المرحلة، والمؤمن بالله يتجاوزها إلى الإيمان بقوة أوجدتها من العدم وبعثت الحياة في أحيائها وقدرت لها نظمها ورسمت لها طريقها... أما المادي فلا يفكر في البداية ولا في النهاية، بل يبحث فيما بينهما ويشاركه المؤمن في نظره فيما بينهما ولكنه يتجاوز هذه النظرة ويصعد من الكون إلى خالقه" (المبارك، محمد، (1991م): ص 25).

كما أن للكون صلة بالله عز وجل في الرؤية الكونية التوحيدية فإنه كذلك تربطه جملة من الصلات الوجودية والوظيفية مع الإنسان، ومن جملتها أنه مخلوق يشترك مع الإنسان في الحقيقة الخلقية، إلا أنه يفارق الإنسان في المرتبة الوجودية، فهو حسب الاصطلاح القرآني مسخر لخدمة الإنسان ما أقبل عليه إلا للانتفاع به، وقد أورد المبارك في مؤلفاته بعض مظاهر التسخير الذي حظي به الإنسان ومنها التسخير المادي، حيث يقول: "ينطلق بنا الإسلام مرة أخرى من الكون الطبيعية، ولكن من زاوية أخرى، وهي منافع الكون واستثمارها. فالكون كما يصرح القرآن «مسخره للإنسان». وهي فكرة مرددة في القرآن في كل مناسبة يعرض فيها جانباً أو جزءاً من هذا الكون. وفي هذا العرض دائمة بيان المواطن الانتفاع أو المتعة بوجه عام" (المبارك، محمد، (1968م): ص32)، ومن مظاهر التسخير التي وقف عندها المبارك في كتاباته ما يعرف بالتسخير المعرفي الذي يتيح للإنسان فهم سنن الكون وقوانينه بغية استثمارها في الحركة العمرانية على ديبه وفي ذكر هذا يقول: "التسخير المعرفي العلمي" ولهذا كان الكون وحوادثه.. موضوع تأمل وتفكير تستعمل في ميدانه الحواس الإنسانية من الرؤية والسمع لتعين العقل والفكر في معرفة حقائقه وسننه. وفي ذلك توجيه للإنسان، بل تحريض له على استعمال حواسه للملاحظة، وعقله للتفكير والاستنتاج، ويده للتجربة، وإشارة صريحة إلى أن الكون قابل لهذا النوع من المعرفة الإنسانية، التي ستزداد يوماً بعد يوم (المبارك، محمد، (1959م): ص 14).

05 . الانسان في تصور محمد المبارك.

5 . 1 . حقيقة ونشأته:

تنطلق النظرة الإسلامية القرآنية من الإنسان نفسه، لا لتجعله مركز الوجود ولا لتؤله، في أي شكل من أشكال التأليه القديمة أو الحديثة، بل تعرفه بنفسه وموقعه الحقيقي من الوجود، بين الكون والله، ولتشعره بهذا الموقع في وعي الوجود كله وعي بصيرة مستيقظة" (المبارك، محمد، (1968م): ص36)، فمن جملة الحقائق التي تقدمها الرؤية التوحيدية للإنسان، تعريف بمبدئه الوجودي وتكوينه الخلقية.

فمن المضامين المعرفية العقدية التي ضمنها المبارك في كتاباته حول حقيقة الإنسان ما يتعلق بمبدئه في التصور الإسلامي، خاصة في ظل هيمنة الرؤية الداروينية الدونية، التي كان في تصورها لا يعدوا الإنسان إلا أن يكون مقولة متطورة في صراع الانتقاء الطبيعي، خلافا للرؤية الإيمانية، فالإنسان حلقة من سلسلة المخلوقات التي أضفى الله عليها صفة الوجود، في تقرير هذا يصرح المبارك "ويتميز هذا المخلوق الأخير بأن الله خلقه ثم سواه ونفخ فيه من روحه" (المبارك، محمد، (1991م): ص74)، وفي موضع آخر يوضح الحقيقة جليا بحقيقة مبدأ الإنسان الذي جمع في تكوينه بين الأصل التراي الظاهر، والبعد والروحي الباطن؛ مع بيان التكريم الوجودي الذي حظي به من الله عز وجل؛ سواء قبل وجوده بالبلاغ الإلهي عنه {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30] علاوة على التكريم الذي حَفَّ به بوجوده العيني، وفي بيان هذه اللطيفة التكريمة يقول المبارك: "إنه لمخلوق عجيب، أنه من أصل تراي ثم أصبح يتناسل كسائر أنواع الحيوان، ثم كان خلقا سويا. وفي آخر هذه المراحل ونهايتها، وحين نضج وكمل، جعلت فيه نفحة من روح الله، وبلغ الأمر بتكريمه أن تسجد الملائكة له" (المبارك، محمد، (1959م): ص16).

5. 2. تكوين الإنسان:

من التصورات التي تفضل بها الرؤية الكونية على الإنسان هي بيان أصل تكوينه؛ الذي اختص به الإنسان عما سواه من المخلوقات التي تشاركه في الخليفة، فالإنسان كما أجمعنا سابقا مخلوق متكون من طبيعتين متباينتي الكنه والقيمة؛ فهو من جهة مخلوق من أصل تراي، ومن جهة أخرى يحتوي على قبس روحاني ملكوتي، ولكل من العنصرين له من خاصية التكريم والتشريف الإلهي، فقد حف المولى تبارك وتعالى الإنسان بالحواس الخمسة والغرائز وغيرها، ما يمكن من خلالها أن يحقق العمارة التي أسندت إليه تكليفا وخلافة عن مولاه، كما حف في جانبه المعنوي الروحي بالأشواق الروحية والعواطف النفسية والنوازع العقلية، ما يمكنه أن يحقق المقوم الثاني من خلافته وهي العبادة (النجار، عبد المجيد، (1996م): ص22/21)، وفي تقرير هذه الحقيقة يقول المبارك: "إن الإنسان ليرتقي في أنواع الفعاليات الموجودة فيه من نوع النوع وأدائها الفعالية العضلية ثم الفعالية الغريزية وهذه يشترك فيها مع الحيوان ثم الفعالية العقلية والفعالية الفنية وأسمى من هذه الفعاليات كلها الفعالية الروحية التي يمتاز بها الإنسان عن الموجودات كلها والعبادة هي الوسيلة الوحيدة لتنميتها" (المبارك، محمد، (1991م): ص203).

5. 4. علاقة الانسان بالله والكون.

5. 4. 1. علاقة الانسان بالله.

وقف الأستاذ المبارك في كتاباته على بيان جملة من الصلات التي تربط الإنسان بالحقائق الكبرى للوجود وأعلاها الحقيقة الإلهية، والتي يمكن تقسيمها إلى علاقة عامة وما عرف بالخلافة في العقيدة الإسلامية والتي نالت الحيز الوفير في كتابات المبارك؛ فالإنسان حسب رؤية المبارك خليفة عن الله في أرضه بمنطق العبودية والتي تعد العلاقة الخاصة التي تشمل ما سبقها وما انطوى تحتها، ولعل من مضامينها الخضوع لمطالب الأمر والنهي الرباني فيما يتعلق بصلاحه وصلاح ما يدب فوق المعمورة الكونية. وبهذا تكون العلاقة الجامعة بين الإنسان والله هي العبادة.

لئن كانت الخلافة هي العلاقة العامة بين الإنسان وخالقه، فإن كما أشرنا سابقا فإن العبودية هي العلاقة الخاصة التي تربط بين الحقيقتين، كما أن المقوم الأساس للخلافة هي العبادة، فالخلافة كما هو معلوم في الدرس العقدي قائم على ثنائية العبادة والعمارة بما يتلاءم مع قوام الإنسان فالإنسان في تكوينه نفحة روحية فكانت خلافته متحققة من هذا القبيل بالعبادة، وبالنظر إلى

قوام الإنسان الجسماني فإن تحقق الخلافة يقوم على العمارة، لذلك بين المبارك أن ترقى الإنسان في مستويات الفاعليات التي نسجت في تكوينه وأسمى ترقى يحصل له والذي يناسب المكون الروحي فيه هي العبادة فأفضل مسلك في ترقيه الوجودي (المبارك، محمد (1991م): ص 203)، وإذا تأملنا الآيات القرآنية التي تتحدث عن خلق الإنسان فإننا نجد أنها تربط الخلق بالعبادة بصورة صريحة أو ضمنية، ومن ذلك قوله تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] ففيه اقتراح مباشر بين الخلق والعبادة فكانت بذلك هي غاية الغايات وقوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30]، فالخلافة في الأرض إنما تتم بطريق العبادة إذ هي إنجاز أوامره ونواهي في عمارة الأرض وترقية النفس (النجار، عبد المجيد، (1996م): ص 69)، وبهذا فالعبادة في مضامها تحمل بعدا وظيفيا، فهي تأخذ سواعد الإنسان إلى زحام الحياة بالعمارة، والمرافعة على وحدانية الله من النهج النظري إلى التمثل التطبيقي في الواقع المعيشي ولعل هذا ما يلمس في حديث المبارك عن العبادة في الإسلام إذ يرى أنها هي التي "تنج" بالإنسان في معركة الحياة وصراع الخير والشر والحق والباطل (المبارك، محمد، (1991م): ص 197) وبهذا يكون المبارك قد أعطى للمضمون الإيماني بعداً واقعياً في سلوك الإنسان.

5. 4. 2 . علاقة الانسان بالكون:

أشرنا في العنصر السابق إلى حقيقة تتعلق بالإنسان لها دور في تصور العلاقة التي تربطه بالكون، وهي أن الإنسان في أصل خلقته كائن وظيفي خلافي، فخلافة الإنسان لا تتحقق إلا على ظهره وبالحصوص الأرض التي يدب عليها، لكونها مسرحاً مفتوحاً للإنسان للاستثمار، ما يُمكنه من تسخيرها لوظيفته الموكلة إليه من خالقه، فنجد المبارك يشير إلى هذه القضية قائلاً: "وبهذه الأرض بالذات مستخلف من الله الخالق ليعيش فيها وليتمتع بما فيها من نعم وطيبات وأرزاق بل ملذات محللة مشروعة على أن يعلم أنه في استخلافه هذا وفي تمتعه وسعيه وعمله محاسب ومسؤول أمام هذه القوة الخالقة المدركة المحاسبة (المبارك، محمد، (د): ص 62/63) إن التمكين الذي تفضله به على الإنسان حمله أن يقبل على الكون بالعمارة والرعاية والصيانة وألا ينتهج نحوه ما يمكن أن يضر بمقوماته مصداقاً لقول الله تعالى {فَسَادَ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: 32]، فالكون أمانة استأمن الله الإنسان عليها، ومن معاني الأمانة في التحمل الذي أخذه الإنسان من خالقه يوم العهد الاستئمان عما سواه في الوجود من كائنات كونها ودائع وكلت للإنسان فليس له حق التصرف فيها إلا على وفق الواهب بما يقتضي قدر الحاجة العمرانية. (طه عبد الرحمان، (2021م): ص 125).

06 . الحياة في تصور محمد المبارك.

6. 1 . حقيقتها:

تقدم الرؤية الإيمانية للإنسان تصور شامل حول حقيقة الحياة، انطلاقاً من معرفة حياته وحياة المخلوقات التي تشاركه في الوجود، وصولاً إلى حقيقة الحياة الدنيا، والآخرة كمراحل زمنية يمر بها الإنسان في سيره الوجودي بعد أن خلق، أما بالنسبة إلى حياته وحياة المخلوقات فهي مخلوقة من عند واحد أحد فرد صمد لا حد لقدرة ولا نهاية لإبداعه، لأن من أسمائه المحي والمحيي؛ فلا مميت ولا محي إلا الله عز وجل (الغزالي، أبو حامد، (1998م): ص 131)، فليس الطبيعة خالقة للحياة كما هو متصور في الرؤية المادية

،وكما أنها ليست هي التي خلقت نفسها، وإنما الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء وهو { الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [طه: 50] (قطب، سيد، 1988م): ص 363/364.

أما بخصوص الحياة التي هي مرحلة زمنية يعيشها الإنسان والتي تعرف بالحياة الدنيا فهي من بين القضايا الكلية التي شغلت العقل الإنساني منذ القدم، لما لها من أهمية في تصور الإنسان وسلوكه الذي ينتهجه في كنفها، فاعتقاد الإنسان أن حياته لا تعدو أن تكون هذه المرحلة العابرة من المهد إل للحد، تنجر عنه بلا شك معاناة، فما أبشعها من مأساة تدعو إلى القنوط، وتحنق الإنسان في حياته، لذلك حاولت الحضارات القديمة أن تقاوم فكرة العدم، بفكرة البعث كما هو الشأن في الحضارة الفرعونية، أو بفكرة تناسخ الأرواح عند الحضارات الشرقية (عبد الرحمان، عائشة، 1975م): ص 151/152) حتى تعطي للإنسان دافع يحافظ على مصيره المجهول.

إن من جملة التصورات السالفة التي كان لها حضور في الفكر الإنساني غير المسددة كان قبيل مجيء الإسلام، وهاد نظرا لفقدانهم المعرفة الحقيقية للحياة، على عكس الإسلام، الذي قدم للإنسان تصوراً شاملاً بين فيه حقيقة الحياة وأصلها وغايتها، سواء الحياة التي يحيا بها الإنسان أو المرحلة الزمنية التي يقضها، وبين السلوك القويم الذي ينبغي للإنسان السير عليه، فأول معارف إيمانية تعطىها الرؤية التوحيدية للإنسان على أن الحياة الدنيا ما هي إلا مرحلة زمنية عابرة يقضيها الإنسان ومآلها إلى الزوال وليست أبدية، وفي بيان هذا التصور التي تقدمه الرؤية التوحيدية يذكر المبارك "ووعي لذاته ولما يحيط به، وإدراك لحياته الفانية القريبة والباقية البعيدة" (المبارك، محمد، 1959م): ص 13)، ولعل معرفة الإنسان لهذه الحقيقة، تغير من نمط سلوكه المتبع نحوها فلا يرمي بذلك الوسع إلى الخلود فيها كون سنة الله ماضية في أصل وجوده بالممات، من ذلك قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر: 30]، وهذه الحقيقة التي غابت عن كبار علماء الأحياء، جعلتهم يوجهون أبحاثهم حول قضية الموت التي تعتبر حسب منظورهم نهاية الإنسان، للوصول إلى حل ينهي هذا الحقيقة المخيفة في تصورهم، وهذا كله نتيجة غياب التصور الحقيقي للحياة، التي من شأنها أن توفر طاقة الإنسان وأمواله في البحث مما لا طائل من ورائه. فحقيقة الدنيا إلى الزوال.

والحياة الآخرة في الرؤية التوحيدية هي الحياة الحقيقية التي ليس بعدها موت وفناء، والإنسان صائر إليها بعد انقضاء أجله في الحياة الدنيا، ومن هذا المنطلق لا يستوي المؤمنون والآخرة والمنكرون لها في شعور، ولا في سلوك عملي، فهما صنفان مختلفان من الخلق، وطبيعتان متميزتان لا تلتقيان في الأرض في عمل، ولا تلتقيان في الآخرة في جزاء (قطب، سيد، (دت): ص 25)، لذلك نجد الشيوخ المؤمنين يتقبلون ذلك اليأس القاتل الأليم الناشئ من الموت، والزوال ويصبرون عليه بالأمل في الحياة الآخرة، فلولا هذا الإيمان بالآخرة لشعر هؤلاء الآباء والأمهات باضطراب نفسي والقلق لما هم فيه سائرون (النورسي، بديع الزمان، 2014م): ص 112/113)، لكن مع ذلك نجد أكثر الناس سعادة لثمرة المعرفة التي يحملونها حول حقيقة الحياة، من التحرر النفسي في المعاش والمعاد.

6 . 2 . علاقة الإنسان بالحياة:

أن العلاقة القائمة بين الإنسان بمراحلتيها في الرؤية الإسلامية واضحة أما وضوح، فعلاقة الإنسان بالحياة الدنيا علاقة ابتلاء، يقول المولى تبارك وتعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: 2]، واللام في ليلوكم متعلقة بالخلق، أي خلق الموت والحياة ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملا، فيجازيكم على ذلك، (الشوكاني، (دت): ج 5،

ص 259) وهذا الذي يتضح في موضع آخر من النصوص القرآنية من قوله تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [هود: 7]، فالله جعل غاية هذه الحياة هي ابتلاء هذه الإرادة الحرة وامتحانها لكشف ما تختار من عمل إرادي ظاهر أو باطن، في رحلة الحياة الدنيا، إذ وهبها الله عز وجل للإنسان مصحوبا بالصفات التي سبق ذكرها والتي تؤهله لأن يكون في هذه الحياة الدنيا مخلوقا ممتحنا مختبرا (حبكة الميداني، عبد الله، (1995م): ص 74) فإن اجتاز حياته بنجاح كان مصيره في الحياة الآخرة بعد البعث إلى جنات النعيم كثواب لما قدمت يداه، وإذا اجتاز رحلة امتحانه كافرا بربه كان مصيره في الحياة الآخرة بعد البعث إلى دار العذاب خالداً فيها أبداً (حبكة الميداني، عبد الله، (1995م): ص 15).

وأهم ما ابتلي به الإنسان في الحياة الدنيا هي الخلافة، فهي خلافة في مقام الابتلاء، فالحياة الدنيا تعتبر المرحلة التي ابتلي الإنسان بتحقيقها وأدائها على الوجه المطلوب، والتي يحاسب عليها يوم القيامة أمام الله عز وجل، فالحياة الدنيا جعلت وسيلة يستثمر فيها الإنسان لتحقيق غاية الخلافة فهو بذلك مسؤول أمام ربه عما أستأمن ووكل فيه، وفي هذا السياق يذكر المبارك: "بدأ الإسلام بتكوين الشعور بالمسؤولية في قلب الإنسان وعقله في حياة أخرى بعد هذه الحياة الظاهرة دون أن يخل بموازين هذه الحياة ومقاييسها بل إنه جعل النظرة إلى تلك الحياة أساس متين في إصلاح هذه الحياة لذلك كانت الأخلاق وقواعد التشريع والحكم مدعومة بعقيدة المسؤولية في حياة أخرى ومبنية على أساس هذه النظرة البعيدة، فكانت العقيدة مرتكزا متينا للأخلاق والتشريع وانبثق عن هذه العقيدة الشعور العميق بمسؤولية الإنسان في هذه الأرض التي استخلف فيها، استخلف في الطبيعة ليكتشفها وليستثمرها" (المبارك، محمد، (1991م): ص 69). يتضح من هذا أن: "العمل الذي يقوم به الإنسان من أجل الدنيا هو في ذات الوقت عمل من أجل الآخرة، فعمل الدنيا وعمل الآخرة وحدة متكاملة لا تناقض فيها". (النجار، عبد المجيد، (1999م) ص 68)، وعليه فالإنسان يبني آخرته، بالعمل الذي يقوم به في دنياه، وليس العزوف عنها والإقبال على الآخرة وترك الدنيا بلا عمل ولا زاد، وقصر مفهوم العبادة بالخلوة والذكر والانقطاع عن الدنيا وعمارتها، فالإسلام لم يأت ليشغل الناس عن مقادير الأرض ومسؤولياتهم، بل جاء معضد عليها بنسق العبودية والمسؤولية.

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى جملة من النتائج التي رقبناها في مقاربتنا البحثية في ثنايا مؤلفات أحد مفكري الإسلام في العقد الماضي:

أن الرؤية الكونية التوحيدية ففكر محمد المبارك تمثل التصور الذي يحمله الإنسان المؤمن بالله ووحداية إلى الحقائق الكبرى للوجود، بدءاً من تصوره لحقيقة الله عز وجل، إلى تصور حقيقة نفسه، والكون الذي يشاطره الوجود، وصولاً إلى معرفة حقيقة وغاية الحياة التي يعيشها.

من جملة الحقائق التي وقف المبارك عند حدودها في بيان مفاصل رؤيته الكونية، الحقيقة الإلهية منطلقاً في حديثه عنها من العقيدة الإسلامية التي نزه الله تعالى فيها عن كل صفة نقص مع توحيده في كل من ذاته وصفاته وأفعاله، كما أثرى المبارك القيمة والثمار المتحققة للإنسان نتيجة إيمانه بوحداية الله تعالى في وجوده.

من القضايا التي وقف المبارك عندها تحريراً وتوصيفاً بنسق قرآني في رؤيته إلهيا، حقيقة الكون، الذي غاب عن الفلسفات والديانات الفاقدة للوصل السماوي في معرفتها، وبين أن الكون مخلوق من قبل الله عز وجل، وأنه يسر وفق نظام محكم من لدن حكيم خبير، ويشارك الإنسان في الوجود تسخيرا وتذليلا ما يمكن للإنسان تحقيقا لوظيفته الكونية الإيمانية. تعد حقيقة الانسان من القضايا التي اهتم بها المبارك في رؤيته الكونية كونها المدار العام الذي يتحمل هذه الرؤية، فقد بين أن الإنسان مخلوق من خالق خلقه لحكمة هي خلافة في أرضه، فكان بذلك مخلوق وظيفي، وظيفة متلائمة مع طبيعته الخلقية، فكان قوام خلافة الإنسان في الكون على العمارة تماشيا مع المقوم المادي فيه، وعلى العبادة نظرا للعنصر الروحاني الذي يشكل بعده الجواني.

07 . المصادر والمراجع:

- مطهري، مرتضى، (1989م). الرؤية الكونية التوحيدية. ط2، إيران، فجر الإسلام.
- Motahari, Morteza, (1989). The monotheistic cosmic vision. T2, Iran, Fajr al-Islam.
- حبنكة الميداني، عبد الله، (1995م). ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة. ط1. سوريا: دار القلم.
- Habannaka al-Maydani, Abdullah, (1995). Ibtillaa' al-Iraadabil-Imanwal-Islam wal-Ibaada. 1st ed. Syria: Dar al-Qalam
- الطبري، ابن جرير، (2000م). جامع البيان في تأويل القرآن، (ط1). لبنان: مؤسسة الرسالة.
- Al-Tabari, Ibn Jarir, (2000). Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Quran, 1st ed. Lebanon: Mu'assasat al-Risala
- الغزالي، أبو حامد، (1998م). المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ط2، سوريا: دار الفكر.
- Al-Ghazali, Abu Hamid, (1998). Al-Maqsad al-Asna fi SharhMa'aniAsma' Allah al-Husna, 2nd ed., Syria: Dar al-Fikr
- أوغلو، أحمد داود، (2019م). النموذج البديل أثر تبين الرؤى المعرفية الإسلامية والغربية في النظرية السياسية. ط1، لبنان: دار الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- Oglu, Ahmad Davud, (2019). Al-Namudhaj al-BadeelAtharTabaayn al-Ru'aa al-Ma'rifiya al-Islamiyawal-Gharbiya fi al-Nathariya al-Siyasiyya. 1st ed., Lebanon: Dar al-Shabaka al-Arabiya lil-Abhathwal-Nashr.
- النورسي، بديع الزمان، (2014م). رسالة الحشر. ط1، مصر، دار سوزلر للنشر والتوزيع.
- Al-Nursi, Badi' al-Zaman, (2014). Risalat al-Hashr. 1st ed., Egypt, Dar Sozlarlil-Nashrwal-Tawzi'.
- مورلي، براين، (2018م). المفاهيم الغربية عن الله. ط1، لبنان، مركز نماء للبحوث والدراسات.
- Morley, Brian, (2018). Al-Mafahim al-Gharbiya 'an Allah. 1st ed., Lebanon, MarkazNama' lil-Buhuthwal-Dirasat.
- حنفي، حسن، (2009م). محمد اقبال فيلسوف الذاتية. ط1، ليبيا، دار المدر الإسلامي.
- Hanafi, Hassan, (2009). Muhammad Iqbal Falsouf al-Dhatiya. 1st ed., Libya, Dar al-Madr al-Islami
- جرار، حسني أدهم، (1998م). محمد المبارك العالم والمفكر والداعية. ط1، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- Jarrar, Husni Adham, (1998). Muhammad al-Mubarak al-'Alimwal-Mufakkirwal-Da'iya. 1st ed., Lebanon, Mu'assasat al-Risala.
- سيد قطب، (دت). في ظلال القرآن، دط، مصر، دار الشروق، القاهرة.
- Sayyid Qutb, (n.d.). Fi Zilal al-Quran, n.p., Egypt, Dar al-Shorouk, Cairo

- سيد قطب، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 1988م
- SayyidQutb, Maqawimat al-Tasawur al-Islami, Dar al-Shorouk, Cairo, Egypt, 3rd ed., 1988
- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، دت.
- Al-Shawkani, Fath al-Qadeer al-Jami' baynaFannay al-Riwayawal-Diraya min 'Ilm al-Tafsir, Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon, n.p., n.d.
- طه عبد الرحمان، (2021م). المفاهيم الأخلاقية بين الانتمائية والعلمانية. ط1، لبنان، مركز نهوض للدراسات والبحوث.
- Taha Abdul Rahman, (2021). Al-Mafahim al-Akhlaqibayna al-l'timaniyawal-'Ilmaniya. 1st ed., Lebanon, MarkazNuhudlil-Dirasatwal-Buhuth
- طه عبد الرحمان، (2014م). بؤس الدهرانية النقد الائتماني لفصل الدين عن الأخلاق. ط1، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2014.
- Taha Abdul Rahman, (2014). Bu's al-Dahraniya al-Naqd al-l'timani li-Fasl al-Din 'an al-Akhlaq. 1st ed., Lebanon, Shabakat al-Arabiya lil-Abhathwal-Nashr.
- Malayeen
- النجار، عبد المجيد، فقه التحضر الإسلامي. ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- Al-Najjar, Abdul Majeed, Fiqh al-Tahadhur al-Islami. 1st ed., Lebanon, Dar al-Gharb al-Islami.
- النجار، عبد المجيد، (1996م). قيمة الإنسان. ط1، المغرب، دار الزيتونة للنشر.
- Al-Najjar, Abdul Majeed, (1996). Qimat al-Insan. 1st ed., Morocco, Dar al-Zaytunalil-Nashr.
- النجار، عبد المجيد، (1996م). مبدأ الإنسان. ط1 دار الزيتونة للنشر، الرباط، المغرب.
- Al-Najjar, Abdul Majeed, (1996). Mabda' al-Insan, 1st ed Dar al-Zaytunalil-Nashr, Rabat, Morocco.
- المسيري، عبد الوهاب وفتحي التريكي، (2010م). الحداثة وما بعد الحداثة. ط3، سوريا، دار الفكر.
- Al-Masiri, Abdul Wahab and Fathi al-Tariki, (2010). Al-Hadathawa Ma Ba'da al-Hadatha. 3rd ed., Syria, Dar al-Fikr
- المبارك، محمد، (1989م). نظام الإسلام العقدي. ط1، السعودية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
- Al-Mubarak, Muhammad, (1989). Nitham al-Islam al-'Aqidi. 1st ed., Saudi Arabia, al-Dar al-Alamiyalil-Kitab al-Islami
- المبارك، محمد، (1968م). نظام الإسلام العقيدة والعبادة. ط1، لبنان، دار الفكر.
- Al-Mubarak, Muhammad, (1968). Nitham al-Islam al-'Aqidahwal-'Ibadah. 1st ed., Lebanon, Dar al-Fikr
- المبارك، محمد، (دت). الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية. ط1، لبنان، دار الفكر.
- Al-Mubarak, Muhammad, (n.d.). Al-Fikr al-Islami al-Hadith fi Muwajahat al-Afkar al-Gharbiya. 1st ed., Lebanon, Dar al-Fikr.
- المبارك، محمد (1987م)، الإسلام والتيارات الفكرية العالمية. ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- Al-Mubarak, Muhammad, (1987). Al-Islam wal-Tayarat al-Fikriya al-'Alamiya, 1st ed.Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon,
- المبارك، محمد، (1991م). نحو إنسانية سعيدة. ط1، لبنان، دار الفكر الإسلامي.
- Al-Mubarak, Muhammad, (1991). NahwalnsaniyaSa'ida. 1st ed., Lebanon, Dar al-Fikr al-Islami
- محمد مطيع الحافظ، (1991م). تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشرة. ط1، لبنان، دار الفكر المعاصر.
- Muhammad Mutia al-Hafidh, (1991). Tarikh 'UlamaDimashq fi al-Qarn al-Rabi' 'Ashar. 1st ed., Lebanon, Dar al-Fikr al-Mu'asir



- فوكو، ميشال، (1990م). الكلمات والأشياء. ط1، لبنان، مركز الإنماء القومي.
- Foucault, Michel, (1990). Al-Kalimatwal-Ashyaa. 1st ed., Lebanon, Markaz al-Inma' al-Qawmi
- **المجلات**
- المبارك، محمد، (1959م). نظرة الإسلام العامة إلى الوجود وأثرها في الحضارة. مجلة دعوة الحق، ع3، ص12/ 20، المغرب، وزارة عموم الأوقاف.
- Al-Mubarak, Muhammad, (1959). Nazrat al-Islam al-'Aamaila al-WujudwaAtharuha fi al-Hadhara. MajallatDa'wat al-Haq, vol. 3, pp. 12-20, Morocco, Wizarat 'Umum al-Awqaf.